

مولده و نشأته:

هو فضيل بن حساين بن أحمد بن محمد بن رمضان، ولد بحي "تاكبو" بمدينة □ المدينة في 1319هـ الموافق لـ 03 ماي 1901م. نشأ وترعرع في أسرة محافظة □ على القيم الدينية والأخلاق الإسلامية □، فقد كان جده إماما بالمسجد الحنفي بالمدينة، و كان عم أبيه من حفاظ القرآن بالدولاية، و هذا الوسط العلمي ساعده للتفتح على أبواب العلم و الأخلاق و الإلتزام منذ نعومة أظافره. ورغم مفارقة أمه للحياة وهو صغير ألما أنه تلقى الرعاية الكافية ولم يؤثر ذلك على قريحته العلمية.

طلبه للعلم:

وقد وهبه الله ذاكرة فذة فأكمل حفظ القرآن و عمره تسع سنوات عن عمه "محمد بن رمضان"; الذي كان مؤذنا و معلما للقرآن الكريم بالمسجد الحنفي. كما استفاد كثيرا من جانب اللغة من الشيخ "محمد بلحسيني"; أحد أعلام اللغة العربية في ولاية المدينة آن ذاك.

و قد مكنته حافظته القوية من تحصيل الكثير من العلوم خاصة مصطلح الحديث حيث كان ملما بالكتب الستة، فكان يحفظ ما يقارب 3500 حديث بسندها كاملة □ هذا ما جعل الشيخ الفحاح عميد الجامع الأزهر عندما زاره سنة 1968 يطلق عليه اسم العميق إطلاعه و فكره سعة و المواظ بالعلم له اعترافا رأسه وقبل: "والمحدث سيار"; أو "بصار الحديث";

و فضلا عن ذلك فقد كان له باع في اللغة و الأدب وقد ذكر من لازمه أنه إذا مال بك في هذا المجال بدا لك أنه لا يعرف إلما سواه و له من الشعر ثلاثة قصائد الأولى في فضل العلم □ و قد ألقاها بمناسبة افتتاح أول نادي ثقافي بالمدينة سنة 1926م

□ و الثانية كتبها في إطار نشاطه لجمعية العلماء المسلمين في التصدي لأهل البدع و المخرافات □ سنة 1934م.

و الثالثة جادت بها قريحته عندما حضر تهديم الكنيسة بساحة أول نوفمبر و حولت إلى مسجد و قد كتبت هذه الأبيات بمداد من ذهب على قطعة رخامية تتصدر مسجد النور و ذلك سنة 1969م.

نشاطه الدعوي:

لقد قدم الشيخ الفضيل لمدينة المدية و للأمة الإسلامية ككل ما شاء الله تعال سواء في التفسير أو الفتوى أو الوعظ و الإرشاد ...

غير أن آثاره المدونة قليلة جدا و ذلك القليل لا يزال حبيس المخازن و الرفض أو في صدور بعض من لازمه آن ذلك، في انتظار خروجها إلى النور لتنتفع بها الأمة الإسلامية جمعاء .

و من بين أهم آثاره في علم الحديث أنه أخرج واحد و ثمانين حديثا شريفا من الكتب الستة و المتفق عليها لفظا و معنى .

و بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين، زار رئيسها الشيخ عبد الحميد ابن باديس مدينة المدية سنة 1933م و عين الشيخ الفضيل رئيسا لفرع المدية و عضوا في مجلس الفتوى ، و نظرا لما لمس الشيخ عبد الحميد ابن باديس من خصال الدعوة و أخلاق العلماء و بشهادة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حثه على تفسير القرآن الكريم، فبدأ الشيخ رحمه الله في التفسير كل جمعة درسا بدون انقطاع حتى أتمه سنة 1969م، وكان منهجه في التفسير يبني على قراءات مستفيضة للتفسير السابقة فيذكرها على سبيل الأمانة العلمية و الاستناد عليها ليطرح بعدها تفسيره معرجا على أسباب النزول و الأحكام الفقهية و بلاغة القرآن و حكمه...

و كان يتخلل تفسيره صولات و جولات في العلم الشرعي فقها و حديثا و بالغة و لغة فأجاد و أفاد، و لكن للأسف لم يدون تفسيره هذا إلا بعض الأشرطة السمعية و بعض خطبه و دروسه المدونة. و بعد 25 سنة كاملة أتم رحمه الله التفسير في يوم الجمعة بالمسجد الحنفي . كما أنه كان المفتي العام للولاية، فلا يتجرأ غيره على الفتوى و الشيخ الفضيل حاضر. بل و يأتوه المستفتون من مختلف الولايات

و من خلال عضويته في جمعية العلماء المسلمين سخر جهده للدعوة إلى الله و التوعية الوطنية، يحمي حدود الله و يصحح المفاهيم الخاطئة و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، وكان سيفا مسلولا على أهل البدع و الخرافات سالكا منهج الجمعية في ذلك و مراعي حبل الله المتين .

كما قام رحمه الله بالتدريس في كلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر سنة 1948م.

و لم يدخر الشيخ رحمه الله أي جهد في الرد على الاستعمار الفرنسي، فقد سخر لسانه و قلمه لتحريض الشباب الجزائري على الجهاد و الدعوة إليه بكل ما يملك، و هذا ما أدخله في الكثير من المواجهات مع الإدارة العسكرية الفرنسية بالولاية و من أهم مواقفه أنه رفض الصلاة على الخونة الذين قتلهم المجاهدون ممثلا لقوله تعالى: "منهم فإنه منكم يتولاهم من و " ما جعل السلطات العسكرية الفرنسية تضعه تحت المراقبة .

أما على المستوى العالمي الإسلامي فكان يرسل مشايخ الأزهر و العلماء المسلمين و يتبادل معهم مناقشة المسائل الدينية و العلمية و

يتواصل معهم في هموم الدين و الأمة ، وقد زاره شيخ الأزهر "محمد الشعراوي" و تناظر معه من صلاة العشاء إلى طلوع الفجر ، و قد خرج منها الشيخ الشعراوي مبهورا بسعة علمه و عمق اطلاعه.

كما زار رحمه الله جامع الزيتونة بتونس في أربعينيات القرن الماضي فأفاد و استفاد

و أثناء زيارته المبعاع المقدسة قصد الحج سنة 1967م كانت له لقاءات مع علماء مكة و المدينة و زار الطائف و سجل اسمه في المسجل الذهبي المخصص للوفود الزائرة من رجال العلم و الأدب ، و حصل على رخصة الدخول إلى الكعبة المشرفة ولكن لم يتم له ذلك لمصادفة يوم الدخول بيوم العودة للجزائر.

وفاته رحمه الله:

و بعد مرض أعده الفراش بضعة أشهر ، توفي الشيخ رحمه الله في 14أفريل 1982م بالمدينة . و بذلك فقدت المولاية حبرا من أحبار الأمة و عالما فذا لا يزال الناس يتذكرون أقواله و حكمه ، و أصبح إطلاق اسم فضيل على الموالي منتشرا جدا في المولاية ككل ، كما أن لمباية المدينة و بفضل الله و ثم بفضل الشيخ الفضيل رحمه الله و معارضته و محاربته للبدع و الفساد و انتشار الحانات في فترة السبعينات و الثمانينات ، لا تزال طاهرة منها بحيث لا توجد فيها و لا حانة أو بيت دعارة أو مخمرة و لله الحمد في حين تنتشر بها المساجد العامرة ، و هذا ما يحسب للشيخ الفضيل اسكندر عليه رحمة الله .

آثاره:

لقد كانت للشيخ الفضيل العديد من الأعمال الدعوية و الآثار الكتابية و الصوتية ،ومن أهم آثاره في علم الحديث أنه أخرج واحد و ثمانين حديثا شريفا من المكتب الستة و المتفق عليها لفظا و معنى .و أنه فسر القرآن الكريم ، بالإضافة إلى دروس و خطب الوعظ و الإرشاد ، و لكن للأسف لم يتم تدوين أو تسجيل إلا القليل منها ، نسعى جاهدين إلى البحث عنها و طبعها و نشرها للانتفاع بها إن شاء الله تعالى.

في إطار نشاطه لجمعية العلماء المسلمين في التصدي لأهل البدع و الخرافات كتب الشيخ الفضيل اسكندر هته الأبيات سنة 1934م

لقد حارب الدين قوما لا خلاق لهسيماهم الغش و التلبيس و المخدع

فأوهموا الناس أن الدين بدعتهم □ □إلى أن أضحت كدين الله تتبع

صدوا ببدعتهم جمهور قومهم..... □ عن دين ربهم فبئس ما صنعوا

شاب و شب عليها الناس فاستحكمت.... جذورها فيهم فكيف تنقلع

قطاع طرق لكن لا سلاح..... لهم إلا التملق و التميمه و الخدع

حادوا عن الدين و العقل معا.....فالدين ما سلكوا و العقل ما تبعوا

لكنهم تبعوا هوى نفوسهم.....حتى هووا في حضيض الشرك و اندفعوا

ضنوا ضالمتهم تدوم دولتها.....و أنها تزال الدهر تتبع

لكن رحمة ربي قضيت فئة..... قيادة هديها تخريب ما صنعوا

قد كشفت جهلهم للناس فافتضحوا.... و اقهار مجدهم الموهوم و انقلع

□

القصيد الثانية

حضر تهديم الكنيسة بساحة أول نوفمبر و حولت إلى مسجد و قد كتبت هذه الأبيات بمداد من ذهب على قطعة رخامية تتصدر
مسجد النور و ذلك سنة 1969م.

الله أكبر جاء الحق و انهدمت...معالم الكفر و انجلت عنا المحن

حيث النواقرس و الصليان قد زهقت...وحل موضعها القرآن و السنن

يا مسجد النور فيك رمز عزتنا...!إذا رأيناك زال الغم و الحزن

بك المدينة زالت كل مفخرة... و زادها بهجة رونقك الحسن

□

مقتبس من مجلة الأشير عدد السابع أوت 2006 المصادرة عن مديرية الثقافة ولماية المدينة الجزائر